يرى زعم النهمة فانه يعظم حزن ابيه ويشتد غمه فكيف يليق بالرسول المعصوم المبالغة في
البر ويرى هذا الحد اجيب باجوبة كثيرة للعلماء احسنها انما فعل ذلك بامر الله تعالى
له لا عن امره وانما امره الله تعالى بذلك ليزيد بلاء يعقوب عليه السلام فيضاعف له الاجر
على البلاء ويلحقه بدرجة ابائه ولله تعالى اسرار لا يعلمها احد من خلقه وهو المتصرف
في خلقه بما يشاء فهو الذي اخفى خبر يوسف عن يعقوب في هذه المدة مع قرب المسافة
لما يريد ان يدبر فيهم والله اعلم باحوال عباده ثم قال كبيرهم **ارجعوا الى ابيكم** اي دو
**فقولوا** له متلطفين في خطابكم **يا ابانا** واكدوا مقالتكم فانه منكرها وقولوا **ان
ابنك سرق** فان قيل كيف حكموا عليه بانه سرق من غير بينة وهو قد اجابهم بالجواب
الشافي فقال الذي جعل الصاع في رحلي هو الذي جعل البضاعة في رحالكم اجيب
بانهم لما شاهدوا الصاع وقد اخرج من متاعهم غلب على ظنهم انه سرق فلذلك نسبوه
الى السرقة في ظاهر الامر لا في حقيقة الحال ويدل على انهم لم يقطعوا عليه بالسرقة
قولهم **وما شهدنا** عليه **الا بما علمنا** ظاهرا من رؤيتنا الصاع يخرج من وعائه
واما قوله وضع الصاع في رحلي من وضع البضاعة في رحالكم فالفرق ظاهر لان هناك
لما رجعوا بالبضاعة اليهم اعترفوا بانهم هم الذين وضعوها في رحالهم واما هذا
الصاع فان احدا لم يعترف بانه هو الذي وضع الصاع في رحله فلهذا السبب غلب
على ظنونهم انه سرق فشهدوا بنا على الظن **وما كنا للغيب** اي ما غاب عنا حين
اعطينا الموثق **حافظين** اي ما كنا نعلم ان ابنك سيسرق ويصير امرنا الى هذا
ولو علمناه لك ما ذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ اخانا مما لنا الى حفظه سبيل
او حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى فلعل الصاع
دس في رحله ونحن لا نعلم ذلك فلعل حيلة دبرت في ذلك غاب عنا علمها كما صنع
في رد بضاعتنا **واسأل القرية** اي اهلها على حذف المضاف وهو مجاز مشهور
وقيل لانه مجاز من باب اطلاق المحل على الحال **التي كنا فيها** وهي مصر عما اخبرناك
به يخبروك بصدقنا فان الامر قد اشتهر عندهم وقيل هي قرية من قرى مصر
كانوا ارتحلوا منها الى مصر **والعير** اي القافلة وهم قوم من كنعان جيران
يعقوب عليه السلام **التي اقبلنا فيها** والسؤال طلب الاخبار باداته من
الهمزة وهل وغيرهما والقرية الارض الجامعة لحدود فاصلة واصلها من
قريت الماء جمعته والعير قافلة الحمير من العير بالفتح وهو الحمار هذا هو الاصل ثم كثر
حتى استعمل في غير الحمير ولما كان ذلك بالانكار رسا يتحقق من كرم اخيهم اكدوه
بقولهم **وانا** اي والله **لصادقون** في اقوالنا ولما رجعوا الى ابيهم وقالوا له
ما قال كبيرهم فكانه قيل فما قال لهم فقيل **قال** لهم **بل سولت** اي
زينت وسهلت **لكم انفسكم امرا** اي حدثتكم بامر فعلتموه والا
فما ادرى الملك ان السارق يوخذ بسرقته **فصبر جميل** اي فامري صبر
جميل او فصبر جميل اصبري او اجمل وقدم مثل ذلك في واقعة يوسف الا انه قال

فيها

فيها والله المستعان على ما تصفون وقال هنا **عسى الله ان ياتيني بهم** اي بيوسف وشقيقه
بنيامين والاخ الثالث المقيم بمصر **جميعا** اي فلا يتخلف منهم احد وانما قال يعقوب
عليه السلام هذه المقالة لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم ان الله سيجعل
له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله تعالى وتفرس ان هذه
الافعال نشات عن يوسف عليه السلام وان الامر يرجع الى سلامة واجتماع
ثم علل ذلك بقوله **انه هو العليم** اي البليغ العليم بما خفي عنا من ذلك فيعلم
اسبابه الموصلة الى المقاصد **الحكيم** اي البليغ فيما يدبره ويقضيه لما ضاق قلب
يعقوب عليه السلام بسبب الكلام الذي سمعه من ابنائه في حق بنيامين **وتولى
عنهم** اي انصرف بوجهه عنهم لما توالى عنده من الحزن **وقال يا اسفى** اي يا اسفي
**على يوسف** اي تعالى هذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل
من يا المتكلم وانما تاسف على يوسف دون اخويه والحادث انما هو مصيبتهما لان
مصيبته كانت قاعدة المصائب والحزن القديم اذا صادفه حزن اخر كان ذلك
اوجع للقلب واعظم لهيجان الحزن الاول كما قال متمم بن نويرة لما راى قبرا جديدا
جدد حزنه على اخيه مالك • فقالوا اتبكي كل قبر رايته • لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت لهم ان الاسى يبعث الاسى • فدعني فهذا كله قبر مالك • ولانه كان
واثقا بحياتهما دون حياته وفي حديث رواه الطبراني لم تعط امة من الامم
انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى
الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وقال يا اسفى **وابيضت عيناه** اي انمحق
سوادهما وبدل بياضا **من الحزن** اي من كثرة البكاء عليه وقيل عند غلبة البكاء يكثر الماء
البكاء في العين فتصير العين كانها ابيضت من بياض ذلك الماء وقيل ضعف بصره
حتى صار يدرك ادراكا لطيفا وقيل عمي وقال مقاتل لم يبصر بهما ست سنين
حتى كشفه الله بقميص يوسف عليه السلام قيل ان جبريل دخل على يوسف فقال
ان بصر ابيك ذهب من الحزن عليك فوضع يده على راسه وقال ليت امي لم تلدني
ولم اكن حزنا على ابي فان قيل هذا اظهار للجزع وجار مجرى الشكاية وهو لا يليق بمثل
يعقوب عليه السلام اجيب بانه لم يذكر الا هذه الكلمة ثم عظم بكاؤه ثم امسك لسانه
عن النياحة وذكر ما لا ينبغي ولم يظهر الشكاية مع احد من الخلق ويدل لذلك قوله
**فهو كظيم** اي مغموم مكروب لا يظهر كربه وقوله انما اشكو بثي وحزني الى الله
فكل ذلك يدل على انه لما عظمت مصيبته وقويت محنته انه صبر وتجرع الغصة
وما اظهر الشكاية به فلا جرم استوجب به المدح العظيم والثناء الجزيل روي ان
يوسف عليه السلام قال لجبريل عليه السلام هل لك علم بيعقوب قال نعم
قال فكيف حزنه قال حزن سبعين ثكلى وهي التي لها ولد واحد يموت قال فهل له
اجر قال نعم اجر مائة شهيد ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من
يملك نفسه عند الشدائد وايضا البكاء مباح فقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)